الرفــقُ

أسلوبُ حياةٍ

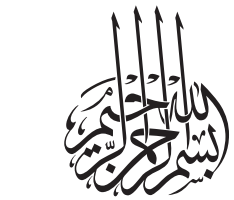

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

رقم الإيداع

٢٥٧٠١ /٢٠١٩م

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-6761-22-3

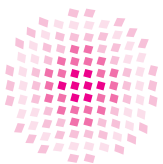

دار الأمل

صناعةُ فكر ومنارةُ وعي

Daralamal2014@gmail.com

الجـــــوال : 6 0100028216

سلسلة ضرورة محو الأمية التربوية [٢]

الرفقُ
أسلوبُ حياةٍ

إعداد
محمد إسماعيل المقدم

دار الأمل
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فقد دل الوحيان الشريفان القرآن والسنة، وهَدْيُ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكلِّ من اتبعهم بإحسان، على أن الرفق بالأطفال والتلاميذ هو الأصل الأصيل في تربيتهم، وأن اللجوء إلى الشدة -وبخاصة العقاب البدني- استثناءٌ لا يقع إلا بعد استنفاد كل السبل والوسائل الممكنة لتقويم سلوك الطفل، وهو مشروط بشروط كثيرة، أهمها على الإطلاق: أن يَصُبَّ في مصلحة الطفل وإصلاح سلوكه.

فالنصوص الشرعية تُقَلِّصُ دور العنف في علاقتنا بأطفالنا؛ لينحصرَ في حيز ضيق جدًّا لمعالجة حالات استثنائية وبضوابطَ دقيقةٍ وصارمة.

- وقد حفل تراثنا الإسلامي بنصوص ومواقفَ مأثورةٍ عن السلف والخلف تُظهِر كيف عظَّموا مبدأ الرفق مع المتعلمين والأولاد، والتزموه في واقع حياتهم.

- ثم دلت الدراسات التربوية الحديثة على أن التربية المبنية على الرفق أنجع من التربية القائمة على العنف والضرب والخوف، وعلى أن «الأطفال لا يدركون الدنيا

بعقولهم الصغيرة وأفهامهم المحدودة، وإنما يدركون ذلك بمشاعرهم، وبما يُغْدِقه عليهم المربون من لطف ورفق وحب وعناية»[١]، وعلى أن كثيرًا من الانحرافات السلوكية لدى أبنائنا، وضعف شوقهم نحو التفوق العلمي ترجع أسبابها إلى جفاف ينابيع الرفق والحب والرحمة لدى من يقومون على تربيتهم.

إن الطفل ذا التحصيل الدراسي الضعيف هو أحوج إلى الرفق من الطفل المتفوق، والمربي الناجح هو من يتتبع أسباب ضعف التحصيل ويعالجها، وليس من يرفع العصا ليعاقبه.

قال إبراهيم بن عبد الله الزَّبِيبي: «سمِعتُ نصر بن علي يقول: دخلتُ على المتوكل، فإذا هو يمدح الرفق، فأكثر، فقلت: يا أمير المؤمنين، أنشدَني الأصمعي:

لَمْ أَرَ مِثْلَ الرِّفقِ في لِينِهِ ... أخْرَجَ لِلْعَذْرَاءِ مِنْ خِدْرِهَا
مَنْ يَسْتَعِنْ بالرِّفْقِ في أمْرِهِ ... يَسْتَخْرِجِ الحَيَّةَ مِنْ جُحْرِهَا

فقال: يا غلام، الدواة والقرطاس، فكتبها»[٢].

(١) «مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد» (ص٧٣).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ١٣٤).

وقال أحمد بن موسى الأزرق:

لـو سـار ألـفُ مُـدَجَّـجٍ في حاجةٍ لم يَقْضِها إلا الـذي يَـتَرَفَّـقُ[١]

لقد نصَّ الإعلان العالمي لحقوق الطفل عام (١٩٥٩م) على ضرورة التعامل برفق مع الطفل، ونحن المسلمين يجب ألا نتحرج من الترحيب بالمواثيق الدولية التي تتفق مع شريعتنا الإسلامية، بل نلتزمها؛ لأنها قاسم مشترك يتفق عليه كل البشر من أجل طفولة سعيدة تنعم بلين الجانب، ولطف التعامل، بما يضمن نموًّا شاملًا وسليمًا للطفل، بعيدًا عمَّا يُخِلُّ بالشخصية، ويُفقِدها توازنَها السلوكي، وسلامتها الخُلُقية والعقلية.

إن المقصود من هذه الرسالة -في المقام الأول- هو الحثُّ على الرفق بالأطفال في تربيتهم، لأنهم أحوج الناس إليه، وإن كان مضمونها قد تعدَّى ذلك إلى بيان فضائل الرفق عمومًا وتبنيه كأسلوب حياة يسلكه المسلم في تعامله مع الآخرين.

والله وحده وليُّ التوفيق.

محمد إسماعيل المقدم

الإسكندرية
في الاثنين ٢١ من ربيع الأول ١٤٤١هـ
الموافق: ١٨ من نوفمبر ٢٠١٩م

(١) «روضة العقلاء» لابن حبان البستي (ص٢١٦)، ومعنى مُدَجَّج: مَن عليه سلاحٌ تامٌّ.

العقاب التربوي
استثناءٌ يؤيد أن الرفق هو الأصل

يقول الأستاذ محمد سعيد مرسي: «العقاب يعني تقديم مُنَبِّهٍ مؤلم إثر ظهور سلوك غير مرغوب فيه،... والتسليمُ بأن العقاب أمر ضروري في العملية التربوية خطأ كبير، فمعظم الناس يُسَلِّمون بهذا كأنه حقيقة لا تحتمل جدلًا، ويعتقدون أن الأطفال لا يتم توجيههم بغير العقاب، فالعقاب هو رد الفعل الطبيعي تجاه أخطائهم! وينسى هؤلاء أن **العقاب حالة استثنائية في العملية التربوية، وليس من أصول التربية وقواعدها**، فهناك ما يُغْني عن العقاب أو على الأقل لا يجعله أمرًا ضروريًّا في العملية التربوية، بل إن علماء السلوك أمثال سكينر وثورندايك ينظرون بشك إلى قيمة العقاب في إضعاف السلوك المَرَضيِّ، فتأثيره مؤقت، كما أن السلوك المَرَضيَّ عادة ما يعاود الظهور في مواقفَ أخرى. فعلِّمِ ابنك قبل أن تعاقبه، حيث هناك أكثر من خمسين أسلوبًا للمحاسبة والمعالجة، لكن: **تقديم العقاب أمر فيه استسهال وابتعاد عن أصول التربية الصحيحة**. وإن شعور الصداقة مع الأبناء لهو أفضل من أي سياسات أخرى في التعامل يمكن وضعها، هذا

إن أردت لنفسك ولأبنائك التميز، فلم يَعُدِ العقابُ الوسيلةَ الإيجابية لردع أطفالنا عن السلوك الخاطئ، وإنما هناك وسائلُ أكثر تأثيرًا ينصح بها علماء نفس الطفل من أجل تطوير شخصياتهم.

ونحن نؤكد دائمًا على أهمية الجوانب الإيجابية في التربية، حيث نقدم التوجيه على العقاب، ونقدم الثواب على العقاب، ونتعامل بمبدأ المحبة والإقناع والتحاور الهادئ العقلاني، فالطفل الذي يخطئ نعلِّمه ولا نعنفه، ونصحح له ولا نضربه، وعلينا أولًا أن نجعله يؤمن بالقيم، ويستمسكَ بها، وندربه على السلوك لفترة تتجاوز ثلاثَ السنوات»[(١)].

ومع وضوح هذه الحقائق إلا أننا نضطر إلى التوقف عندها، والتدليل عليها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وهدي السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان؛ ليُفيق بعض المربين الجاهلين المتعسفين الذين لا يلتزمون مبدأ «التربية بالرفق»، فيعاملون الأطفال بغلظة وقسوة وهم يحسبون أنهم يُحسِنون صُنْعًا!

(١) انظر: «كيف تكون أحسن مربٍّ في العالم» (ص١٥٧، ١٥٨).

الرفـــق

الرفق لغةً: يدل على موافقة ومقاربة بلا عنف.

وهو لِين الجانب، ولطافة الفعل، وحُسْن الصَّنيع.

يقال: هو به رفيق؛ أي: لطيف.

عن أبي رِمْثةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرِني هذا الذي بظهرك؛ فإني رجل طبيب»، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهُ الطَّبِيبُ، بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ رَفِيقٌ**[(١)]، **طَبِيبُهَا الَّذِي خَلَقَهَا**»[(٢)].

أما الرفق اصطلاحًا: فهو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف والحِدَّة[(٣)].

---

(١) أي: أنت ترفق بالمريض وتتلطفه، والله يبرئه ويعافيه؛ لأنه العالم بحقيقة الداء والدواء، القادر على الصحة والشفاء، عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: مَرِضَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعْتُ يدي على صَدْره، فقلتُ: «أَذْهِبِ الباسَ ربَّ الناسِ، أنتَ الطبيبُ، وأنتَ الشَّافي».

(٢) وكان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى**» أخرجه الإمام أحمد رقم (٢٤٧٧٤)، والنسائي (٧٥٣١)، وغيرهما، وصححه محققو «المسند» على شرط البخاري (٤١/ ٢٩١).

(٣) انظر: «فتح الباري» (١٠/ ٤٤٩).

وقال القاري: «هو المداراة مع الرفقاء، ولين الجانب، واللطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه، وأيسرها»(١).

والرفق ثمرة لا يُثمرها إلا حسنُ الخلق، ولا يتأتى حسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب والشهوة واعتدالها(٢).

وأمر الله خليله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرفق بالمؤمنين ولين الجانب معهم، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٥].

وقال الله تعالى في معنى الرفق: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

هكذا وهب الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرفقَ واللين والرحمة بالمؤمنين، فكان يتلطف بهم، ويخفض لهم جَناحه، فبادلوه حبًّا بحب، وآثروه على آبائهم وأبنائهم وأنفسهم، واجتمعوا على تعزيره وتوقيره وتعظيمه، والانقياد له، ولو كان فظًّا غليظ القلب -حاشاه- لجافَوْه، وابتعدوا

(١) «مرقاة المفاتيح» (٨/ ٣١٧٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٢٠٧)، والإمام أحمد (١٧٤٩٢)، وصححه الألباني على شرط مسلم، كما في «الصحيحة» رقم (١٥٣٧).

عنه؛ ولهذا قال تعالى في وصفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

وقد قصَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في كتابه الكريم مواقفَ كثيرةً لأنبيائه ورسله المصطَفَيْنَ تدل على غاية رفقهم بأممهم، كما في قصة نوح وإبراهيم وموسى وغيرهم -عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام-.

- فهذا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يقابل جواب أبيه العنيف بغاية الرفق واللين، قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم:٤٦، ٤٧].

- وقال الله عَزَّوَجَلَّ مخاطبًا موسى وهارونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٣، ٤٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أنَّ فرعون في غاية العُتُوِّ والاستكبار، وموسى صفوةُ الله من خلقه إذْ ذاك، ومع هذا أُمِرَ ألا يخاطِب فرعونَ إلا بالملاطفة واللين»(١).

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٥/ ٣٠٣) ط. دار الحديث - القاهرة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا كان موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أُمِرَ بأن يقول لفرعون قولًا لينًا، فمَن دونه أحرى بأن يَقتدِي بذلك في خطابه وأمره بالمعروف في كلامه»(١).

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ أي: سهلًا لطيفًا، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فُحْشٍ ولا صَلَف(٢)، ولا غلظةٍ في المقال، أو فظاظةٍ في الأفعال، ﴿لَّعَلَّهُۥ﴾ بسبب القول اللين ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ ما ينفعه فيأتيه، ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ ما يضره فيتركه، فإن القول اللين داعٍ لذلك، والقول الغليظ مُنَفِّر عن صاحبه»(٣).

وقال سبحانه في موضع آخَرَ: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات:١٧-١٩].

«وفي الاستفهام ما لا يخفى من التلطف في الدعوة، والاستنزال عن العتو»(٤).

- ومن ذلك: ما جاء في القرآن الكريم من رفق يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بإخوته؛ قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩١، ٩٢].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١١/ ٢٠٠).

(٢) **الصَّلَف:** التكبُّر والعُجب، والعجرفة، وصَلِف الشخص: ادَّعى ما فوق قَدْرِه عُجْبًا وتكبُّرًا.

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٥٠٦).

(٤) «روح المعاني» للآلوسي (٣٠/ ٣٧).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ أي: «لا تعيير ولا توبيخ عليكم اليوم، ولا إفساد بيني وبينكم من الحرمة وحق الأخوة، ولكم عندي العفو والصفح، وكان هذا حليمًا موفقًا»[١].

والله فضَّل يوسف بمكارم الأخلاق، ومحاسن الشِّيَم وعزَّة النفس؛ فلم ينتقم من إخوته، ورفق بهم، وعفا عنهم، وهو يقول لهم كرمًا وجودًا: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ لا أُثَرِّبُ عليكم ولا ألومكم ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، فسمح لهم سماحًا تامًّا من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان الذي لا يتأتى إلا من خواصِّ الخلق وخيار المصطَفَيْنَ»[٢].

* قال مالك بن دينار: أتينا منزل الحكم بن أيوب[٣] ليلاً وهو على البصرة أمير، وجاء الحسن، وهو خائف فدخلنا معه عليه، فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج[٤]، فذكر الحسنُ قصةَ يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وما صنع به إخوته، فقال: باعوا أخاهم وأحزنوا

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٦٩).
(٢) انظر: «تيسير الكريم الرحمن» (٢/ ٤٣٥).
(٣) الحكم بن أيوب الثقفي زوج ابنة الحجاج ونائبه على البصرة.
(٤) الفراريج جمع فروج: وهو الفتى من ولد الحجاج.

أباهم، وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس، ثم قال: أيها الأمير، ماذا صنع الله به؟ أداله منهم، ورفع ذكره، وأعلى كلمته، وجعله على خزائن الأرض، فماذا صنع يوسف حين أكمل الله أمره وجمع له أهله؟ قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢]، يُعَرِّضُ للحَكَم بالعفو عن أصحابه، قال الحكم: «فأنا أقول: لا تثريب عليكم اليوم، ولو لم أجد إلا ثوبي هذا لواريتُكم تحته»[(١)].

لقد تتابعت صُوَرُ رفقِ الله عَزَّوَجَلَّ بعباده في كل شؤونهم؛ فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨].

إلى جملة عظيمة من الآيات الناطقة بنفي الحرج عن قضايا الدين كلِّها، والتي تدل بوضوح على أن الشريعة مبنيَّةٌ على أساسٍ من السَّعةِ والرفق، والتيسير والسماحة مع الناس جميعًا؛ لأنها مبنية على مصالح العباد، وتحقيق الخير لهم، ودفع الضرر والحرج

(١) «الإحياء» للغزالي (٣/ ١٨٤).

عنهم في دينهم ودنياهم، وعدم إعنات الناس وتكليفهم ما يشق عليهم، بل كان متمشيًا مع طاقاتهم وقدراتهم وفِطَرهم السوية التي خلقهم الله عليها[١].

لماذا كثُر ثناء الشرع الشريف على الرفق؟

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأصحابه: «تدرون ما الرفق؟»، قالوا: قل يا أبا محمد، قال: «أن تضعَ الأمورَ في مواضعِها[٢]: الشدة في مَوْضِعِها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه»[٣]. وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين، والفظاظة بالرفق، كما قيل:

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلا مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

فالمحمود وسَط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق، ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحِدَّة أميلَ، كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر؛ فلذلك كثُر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف[٤].

(١) انظر: «مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين» للدكتور صالح البقعاوي (ص٦٠، ٦١).
(٢) ولذلك كان يقال: «الرفق رأس الحكمة»، رواه عن عروة بن الزبير ابن أبي شيبة (٥/ ٢٠٩) (٢٥٣٠٨)، ووكيع في «الزهد» (ص٧٧٦)، وأحمد في «الزهد» (ص٤٤)، وقال وهب بن منبه: «الرفق ثِنْيُ الحِلْم» كما في «الإحياء» (٣/ ١٨٦).
(٣) «الإحياء» (٣/ ١٨٦).
(٤) انظر: «موسوعة نضرة النعيم» (٦/ ٢١٥٨).

وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والرفق من العبد لا ينافي الحزم، فيكون رفيقًا في أموره متأنيًا، ومع ذلك لا يفوِّتُ الفرصَ إذا سَنَحَتْ، ولا يُهْمِلُها إذا عَرَضَتْ»[١].

(١) «توضيح الكافية الشافية» (ص١٢٣).

الحث على الرفق في السنة الشريفة

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»(١).

والرفق صفة من صفات الله تعالى؛ ولذا فإنه سبحانه يحب الرفق في الأمر كلِّه، ويحب من يتصف به، ويجزيه الجزاء الأوفى، ويثيب عليه ما لا يثيب على غيره.

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**»(٢).

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»(٣).

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن يهودَ أَتَوُا النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: السَّامُ(٤) عليكم! فقالت

---

(١) رواه مسلم (٢٥٩٣).

(٢) رواه البخاري (٦٠٢٤)، ومسلم (٢١٦٥).

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٤)، وشانه: ضد زانه، أي: عابه.

(٤) فسر أبو عبيد السام بالموت، وقال قتادة: تفسير «السام عليكم»: تسامون دينكم، من السَّآمة أي: الملل، وأصلها: السَّأَمُ عليكم، خفف الهمزة.

عائشة: عليكم، ولَعَنَكُم الله، وغَضِبَ الله عليكم! قال: «**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ**». قالت: أو لم تسمعْ ما قالوا؟ قال: «**أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ**»(١).

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لها: «**يَا عَائِشَةُ، ارْفُقِي؛ فَإِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، دَلَّهُمْ عَلَى بَابِ الرِّفْقِ**»(٢).

وعن عبيد الله بن مَعْمَر، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا أُعْطِيَ أَهْلُ بَيْتِ الرِّفْقَ إِلَّا نَفَعَهُمْ، وَلَا مُنِعُوهُ إِلَّا ضَرَّهُمْ**»(٣).

وعن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**من يُحْرَم الرفق يُحْرَم الخير**»(٤).

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ**(٥)**، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ**»(٦).

---

(١) رواه البخاري (٦٠٣٠).
(٢) رواه الإمام أحمد (٢٤٧٣٤)، وصححه -على شرط البخاري- الألباني في «الصحيحة» رقم (٥٢٣).
(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٣٢٦١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٩٤٢).
(٤) رواه مسلم (٢٥٩٢).
(٥) يعني: أن نصيب الرجل من الخير على قدر نصيبه من الرفق، وحرمانه منه على قدر حرمانه منه، كما في «تحفة الأحوذي» (٧/ ١٩٠).
(٦) رواه الترمذي (٢٠١٣)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا: «**إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**» الحديثَ[(١)].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ، وَبِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ**»[(٢)].

وفي رواية الطبراني عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قيل: يا رسول الله، مَن يَحرُمُ على النار؟ قال: «**الْهَيِّنُ اللَّيِّنُ السَّهْلُ الْقَرِيبُ**»[(٣)].

وعن أبي عنبة الخولاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن لِلّه آنيةً من أهل الأرض، وآنيةُ ربِّكم قلوبُ عبادِهِ الصالحين، وأحبُّها إليه ألينُها وأرَقُّها**»[(٤)].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**المُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ**[(٥)]

(١) رواه الإمام أحمد (٢٥٢٥٩)، وقال المحققون: «إسناده صحيح» (٤٢/ ١٥٣).
(٢) رواه الترمذي (٢٤٨٨)، وقال: «حسن غريب»، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٩٣٨).
(٣) «المعجم الكبير» (٢٠/ ٣٥٢).
(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير»، وقال الحافظ العراقي: «إسناده جيد» «تخريج الإحياء» (٢/ ١٥٤)، وقال الهيثمي: «إسناده حسن»، وقال الألباني: «إسناده قوي» كما في «الصحيحة» (١٦٩١).
(٥) والمراد بالهين سهولته في أمر دنياه، ومُهِمات نفسه، أما في أمر دينه فكما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَصِرتُ في الدين أصلبَ من الحجر»، وقال بعض السلف: «الجبل يمكن أن يُنْحَتَ منه، ولا يُنْحَتُ من دينِ المؤمن شيء»، وانظر: «فيض القدير» للمناوي (٦/ ٢٥٨).

لَيِّنُونَ[١]، مِثْلُ الْجَمَلِ الْأَنِفِ[٢] الَّذِي إِنْ قِيدَ انْقَادَ، وَإِنْ سِيقَ انْسَاقَ، وَإِنْ أَنَخْتَهُ[٣] عَلَى صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ»[٤].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: سمِعتُ مِن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في بيتي هذا: **«اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»[٥].**

وهذا يشمل بعمومه كلَّ من ولي شيئًا من أمور المسلمين، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشَرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ، إِلَّا أَتَى اللهَ عَزَّوَجَلَّ مَغْلُولًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَكَّهُ بِرُّهُ، أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ...»** الحديثَ[٦].

---

(١) اللين: لين الجانب، وسهولة الانقياد إلى الخير، والمسامحة في المعاملة.

(٢) وفي «الجامع الصغير»: «الأَنِف»، وهو الذليل المُواتي، والمأنوف: الذي عقَر الخَشاش أنفه، فهو لا يمتنع على قائده للوجع الذي به، والخَشاش: حشرات الأرض، والخِشاش: ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب.

(٣) أنخت الجمل: أبركتُه، والمراد: أن المؤمن سهل يقضي حوائج الناس ويخدمهم، وهو شديد الانقياد للشارع في أوامره ونواهيه.

(٤) انظر: «السلسلة الصحيحة» للألباني رقم (٩٣٦).

(٥) رواه مسلم (١٨٢٨).

(٦) رواه الإمام أحمد (٢٢٣٠٠)، وقال المحققون: «صحيح لغيره» (٣٦/ ٦٣٥).

وعن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «أَحَبُّ الأمورِ إلى الله ثلاثة: العفو في القدرة، والقصد في الجِدَة[(١)]، والرفق في العبادة، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة»[(٢)].

وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن لِلّهِ تعالى أقوامًا يختصُّهم بالنِّعَم لمنافع العباد، ويُقِرُّها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نَزَعَها منهم، فحوَّلها إلى غيرهم**»[(٣)].

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن رَفَقَ بعبادِ الله رَفَقَ الله به، ومن رحمهم رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد الله عليه، ومن

(١) يقال: وَجَد جِدَةً: صار ذا مال.

(٢) «روضة العقلاء» لابن حبان البستي (ص١٦٧).

تنبيه: ليس معنى الترفق بالناس موافقة أهوائهم وشهواتهم، بل الرفق أن تسلك بهم وفقًا للكتاب والسنة أسهل الطرق وأيسرها، ولا تشق عليهم في شيء ليس من أمر الله تعالى وأمر رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما تحمل مشقة مجاهدة النفس بالعبادات المشروعة بدون تنطع ولا غلو؛ فلا ينافي الرفق.

عن الشعبي قال: غُشِيَ على مسروق في يوم صائف، وكانت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قد تبنته، فسمَّى بنته عائشة، وكان لا يعصي ابنته شيئًا، قال: فنزلَتْ إليه فقالت: يا أبتاه، أفطر واشرب، قال: ما أردتِ لي يا بُنية؟ قالت: الرِّفق، قال: «يا بنية، إنما طلبتُ الرِّفقَ لنفسي في يومٍ كان مقدارُه خمسين ألف سنة»، وفي رواية: «إنما طلبتُ الرِّفق لتعبي».

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» رقم (٥)، والطبراني في «الأوسط» (٥١٦٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١١٥)، وحسَّنه الألباني لغيره في «الصحيحة» (١٦٩٢).

نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن عامل خلقه بصفةٍ عامله الله بتلك الصِّفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعبده حسب ما يكون العبد لخلقه»[(١)].

ورُوي عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَيِّئُ الْمَلَكَةِ**[(٢)]»[(٣)].

وفي حديث عائشة الآنف الذكر: الدعاء على مَن شَقَّ على الناس، وعاملهم بعنف، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ**»[(٤)]، وهو العنيف في رعيته، لا يرفق بها في سَوْقها ومَرعاها، بل يحطمها في ذلك، وفي سقيها وغيره، ويزحم بعضها ببعض، بحيث يؤذيها ويحطمها[(٥)]، وقيل: هو الراعي الذي لا يُمَكِّن رعيتَه من المراتع الخصيبة، ويقبضها، ولا يدعها تنتشر في المرعى[(٦)].

---

(١) «الوابل الصيب» (ص٣٥).
(٢) قال ابن الأثير في «النهاية»: «هو الذي يُسيء إلى من تحت يده من الخدم والمماليك» (٤/ ٣٥٨).
(٣) ضعفه الألباني في «ضعيف الترمذي» رقم (٣٣٠) (ص٢٢٠).
(٤) رواه -من حديث عائذ بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- مسلم رقم (١٨٣٠).
(٥) «شرح النووي لصحيح مسلم» (١٢/ ٢١٦).
(٦) «لسان العرب» لابن منظور (١٢/ ١٣٩).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسير، فحدا الحادي[١]، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ارْفُقْ يَا أَنْجَشَةُ -وَيْحَكَ- بِالقَوَارِيرِ**»[٢].

وفي رواية: «**يَا أَنْجَشَةُ، رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ**»[٣].

لأن أنجشة كان في سَوْقِهِ عنفٌ، فأمره أن يرفق بالمطايا.

والقوارير: كناية عن النساء اللاتي كُنَّ على الإبل التي تُساق حينئذٍ، فأمر الحاديَ بالرفق بالحُداء؛ لأنه يحث الإبل حتى تسرع، فإذا أسرعت لم يُؤمَن على النساء السقوطُ[٤].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي أُحَرِّجُ عَلَيْكُمْ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ، وَالمَرْأَةِ**»[٥].

---

(١) **الحادي:** قائد القافلة المسافر ليلًا، وحدا الإبلَ وبها: ساقها وحثَّها على السير بالحُداء، والحادي: الذي يسوق الإبل بالحُداء، وهو الغناء لها.

(٢) رواه البخاري (٥٨٥٦).

(٣) رواه مسلم (٢٣٢٣).

(٤) «فتح الباري» (١٠/ ٥٤٥).

(٥) رواه ابن ماجه (٣٦٨٧)، وغيره، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٠١٥).

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمِعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ابْغُونِي الضُّعَفَاءَ؛ فَإِنَّمَا تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ بِضُعَفَائِكُمْ**»(١).

وعن أبي أُمامةَ بن سهل بن حُنَيْفٍ، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتي ضعفاءَ المسلمين، ويزورُهم، ويعودُ مرضاهم، ويشهد جنائزهم»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**للمملوك طعامُه وكِسوتُه، ولا يُكَلَّف إلا ما يُطيق، فإن كلفتموهم فأعينُوهم، ولا تُعَذِّبوا -عبادَ الله- خلقًا أمثالَكم**»(٣).

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٩٤)، والنسائي (٦/ ٤٥)، والترمذي (١٧٠٢) وقال: «حسن صحيح»، وابن حبان (٤٧٦٧) بلفظ: «**ابغوا لي ضعفاءكم**»، والحاكم وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٧٧٩).
ومعنى «أبغوني الضعفاء»: اطلبوا رضائي، وقيل: اطلبوا لي حفظ حقوقهم وجبر قلوبهم، وتقربوا إليَّ بالتقرب إليهم، وتفقد حالهم، والإحسان إليهم قولًا وفعلًا.
«في ضعفائكم» أي: فقرائكم بالإحسان إليهم من أغنيائكم، والضعفاء: من يستضعفهم الناس لفقرهم ورثاثتهم.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٦)، وأورده الألباني في: «السلسلة الصحيحة» رقم (٢١١٢).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٣١٣)، وحسَّنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في «الإحسان» (١٠/ ١٥٢).

الرفق في التعبد والحث على ترك التشدد

حثَّ الشرعُ الشريف على الرفق في التعبد، ونهى عن الغلو والتشدد؛ فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧].

وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ**(١)، **فَأَوْغِلُوا**(٢) **فِيهِ بِرِفْقٍ**(٣)»(٤).

وقال ﷺ: «**إن الدين يُسْرٌ**(٥)،

---

(١) **متين:** صُلب شديد.

(٢) **فأَوْغِلوا:** سيروا، يقال: أوغل في البلاد والعلم: ذهب، وبالغ، وأَمْعَنَ في السير، وأبعد، كتوغَّل، وكل داخلٍ مستعجِلًا مُوغِل.

(٣) **برفق:** يريد سِيروا فيه من غير تكلف، وابلغ الغاية القصوى منه بالرفق، ولا تحملوا على أنفسكم ما لا تطيقونه، فتعجزوا، وتتركوا العمل.

(٤) رواه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الإمام أحمد (١٣٠٥٢)، وقال المحققون: «حسن بشواهده» (٢٠/ ٣٤٦). وانظر: «صحيح الجامع الصغير» رقم (٢٤٤٢).

(٥) قال الحافظ رحمه الله: «قوله: (**الدين يسر**) أي: دين الإسلام ذو يسر، أو سمى الدين يسرًا، مبالغة بالنسبة إلى الأديان قبله؛ لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم، ومن أوضح الأمثال له: أن توبتَهم كانت بقتل أنفسهم، وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم والندم» اهـ. «فتح الباري» حديث (١٧٣٨).

ولـــن يُـــشـــادَّ[١] الـــديـــنَ أحـــدٌ إلا غـلـبـه[٢]، فـســـدِّدوا[٣] وقـــارِبـــوا[٤] وأبـــشـــروا[٥]، واســـتـــعـــيـــنـــوا[٦] بـــالـــغُـــدْوة[٧]، والـــرَّوْحـــة[٨]،

(١) **المشادة في الشيء:** التشدد فيه والمبالغة، قال الحافظ: «المشادة بالتشديد: المغالبة، يقال: شاده يشاده مشادة، إذا قاواه، والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق؛ إلا عجز وانقطع، فيُغلَب» اهـ. «الفتح» (١/ ١٧٥).

(٢) قال ابن المنير: «في هذا الحديث عَلَم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدِّي إلى الملال، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته، كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة. وفي حديث محجن بن الأدرع عند أحمد: (**إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة، وخير دينكم اليسرة**)، وقد يستفاد من هذا الإشارة إلى الأخذ بالرخصة الشرعية، فإن الأخذ بالعزيمة في موضع الرخصة تنطع، كمن يترك التيمم عند العجز عن استعمال الماء، فيفضي به استعماله إلى حصول الضرر» «فتح الباري» (١/ ١٧٥).

(٣) قوله: (**فسددوا**) أي: الزموا السداد، وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط، قال أهل اللغة: السداد التوسط في العمل.

(٤) قوله: (**وقاربوا**) أي: إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه.

(٥) قوله: (**وأبشروا**) أي: بالثواب على العمل الدائم وإن قلَّ، والمراد تبشير من عجز عن العمل بالأكمل بأن العجز إذا لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقص أجره، وأبهم المبشر به تعظيمًا له وتفخيمًا.

(٦) قوله: (**واستعينوا بالغدوة**) أي: استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المُنَشِّطة.

(٧) **الغُدْوة:** البكرة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس.

(٨) **الرَّوحة:** الوقت ما بين زوال الشمس إلى الليل.

وشيءٍ من الدُّلْجة[١]»[٢].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ[٣]**» قالها ثلاثًا[٤].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ؛ فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ، فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارَاتِ، رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ**»[٥].

ووجَّه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه وأمَّته قائلًا: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ[٦] تَبْلُغُوا**»[٧].

إن التطرف صفة ذميمة في كل الأمور؛ لهذا نجد أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحث على الاعتدال في عمود الدين الصلاة، فما بالك في سائر الأمور الحياتية الأخرى؟

---

(١) **الدُّلْجة**: سير السَّحَر آخرِ الليل.

(٢) رواه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري (٣٩)، ومسلم (٢٨١٦).

(٣) **المتنطعون**: المتعمقون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم، والتنطُّع في الكلام: التعمق فيه والتفاصح.

(٤) رواه مسلم (٢٦٧٠)، وأبو داود (٤٦٠٨).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٩٠٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٦٩٤)، وقال محققه: «إسناده حسن» (٦/ ٣٦٥).

(٦) **القَصْدَ القَصْدَ**: بالنصب على الإغراء، والقصد: الأخذ بالأمر الأوسط.

(٧) رواه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (١٤٩٧).

عن أبي مسعود عُقْبَةَ بنِ عَمْرٍو البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح؛ من أجْل فلان؛ مما يُطيل بنا، فما رأيتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غضِب في موعظةٍ قَطُّ، أشدَّ مما غضب يومئذٍ، فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ، وَالصَّغِيرَ، وَذَا الْحَاجَةِ**»(١).

وعن مَخْلَدِ بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: «ما ندب الله العبادَ إلى شيء إلا اعترض فيه إبليسُ بأمرين ما يبالي بأيِّهما ظَفِر: إما غلوًّا فيه، وإما تقصيرًا عنه»(٢).

وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «وُضِعَ دِينُ الله دونَ الغلو، وفوقَ التقصير»(٣).

قال الإمام المحقق ابن قَيِّم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «السلف يذكرون هذين الأصلين كثيرًا؛ وهما: الاقتصاد في الأعمال، والاعتصام بالسنة؛ فإن الشيطان يَشَمُّ قلب العبد ويختبره: فإذا رأى فيه داعية للبدعة، وإعراضًا عن كمال الانقياد للسنة: أخرجه عن الاعتصام بها.

---

(١) رواه البخاري (٦١١٠)، وابن حبان (٢١٣٧)، وغيرهما.
(٢) «تهذيب حلية الأولياء» (٣/ ٦٣).
(٣) «الزهد» للإمام أحمد (ص ٤٧٧).

وإن رأى فيه حرصًا على السنة، وشدةَ طلب لها؛ أمره بالاجتهاد والجَوْرِ على النفس، ومجاوزة حد الاقتصاد فيها، قائلًا له: إن هذا خير وطاعة، فلا تفتر مع أهل الفتور، ولا تَنَمْ مع أهل النوم»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قول بعض الناس: (الثواب على قدر المشقة) ليس بمستقيم على الإطلاق كما قد يَستِدل به طوائفُ على أنواع من الرهبانيات، والعبادات المبتدَعة التي لم يشرعها الله ورسوله؛ من جنس تحريمات المشركين وغيرهم ما أحلَّ الله من الطيبات، ومثل التعمق والتنطع الذي ذمه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث قال: «**هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ**»[(٢)].

وأما الأجر على قدر الطاعة: فقد تكون الطاعة لله ورسوله في عمل ميسر[(٣)]، كما يسر الله على أهل الإسلام الكلمتين، وهما أفضل الأعمال؛ ولذلك قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٤٢) بتصرف.

(٢) تقدم (ص٢٨).

(٣) وقد يكون بعض العبادة أخفَّ من بعض، وهو أكثر فضلًا وثوابًا كقيام ليلة القدر بالنسبة لسائر ليالي رمضان، وكصلاة ركعتين في المسجد الحرام بالنسبة إلى غيره من الأماكن، وكدِرْهمٍ من الزكاة بالنسبة إلى أكثر منه من صدقة التطوع.

«**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ**» أخرجاه في الصحيحين[(١)].

ولو قيل: (الأجر على قدر منفعة العمل وفائدته)؛ لكان صحيحًا[(٢)]...

فأما كونه مشقًّا، فليس هو سببًا لفضل العمل ورجحانه، ولكن قد يكون العمل الفاضل مشقًّا، ففضله لمعنًى غيرِ مشقته، والصبر عليه مع المشقة يزيد ثوابه وأجره، فيزداد الثواب بالمشقة، كما أن من كان بُعدُه عن البيت في الحج والعمرة أكثر، يكون أجره أعظم من القريب؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة في العمرة: «**أَجْرُكِ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكِ**»[(٣)]؛

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٦)، (٦٦٨٢)، (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤)، وغيرهما.

(٢) وذلك لأن المشقة -وإن كانت سببًا للثواب والأجر- إلا أنها ليست هي المقصودة أصلًا للشارع من الأفعال التي كُلفنا بها، وإنما المقصود هو المصالح المترتبة عليها، كأمر الطبيبِ مريضَه باستعمال الدواء المُرِّ، فإنه ليس غرضُه إلا الشفاء.
وانظر: «قواعد الأحكام» للعز بن عبد السلام (١/ ٣١)، و«مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٥/ ٢٨١)، (٢٢/ ٣١٣)، (١٠/ ٢٦٢)، و«الموافقات» للشاطبي (٢/ ٢٢٢)، و«فتح الباري» (٣/ ٦١١) حديث رقم (١٧٨٧).

(٣) رواه بنحوه البخاري (١٧٨٧)، ومسلم (١٢١١).
والمعنى: أن الثواب في العبادة يكثر بكثرة النَّصَب أو النفقة، ولقاعدة: «ما كان أكثر فعلًا كان أكثر فضلًا»، ففضْل الوتر أفضل من الوصل لزيادة العمل، وصلاة النفل قاعدًا على النصف من صلاة القائم، وإفراد النسك أفضل من القِران، وكثرة الخطا إلى المساجد سبب زيادة الأجر كما في «صحيح مسلم» (١/ ٤٦٠) (٦٦٣)، (٦٦٤).

لأن الأجر على قدر العمل في بُعْدِ المسافة، وبالبعد يكثر النَّصَبُ؛ فيكثر الأجر، وكذلك الجهاد...

ولهذا تجد هؤلاء مع من شابههم من الرهبان يعالجون الأعمال الشاقة الشديدة المتعبة من أنواع العبادات والزهادات، مع أنه لا فائدة فيها، ولا ثمرة لها، ولا منفعة إلا أن يكون شيئًا يسيرًا لا يقاوم العذاب الأليم الذي يجدونه(١).

ونظير هذا الأصل الفاسد، مدحُ بعض الجهال بأن يقول: (فلان ما نكح، ولا ذبح). وهذا مدح الرهبان الذين لا يَنكِحون ولا يَذبحون، وأما الحنفاء فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**(لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَآكُلُ اللَّحْمَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)**»(٢).

وقال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد لَبَّسَ إبليسُ على جماعة من المتعبدين، فأكثروا من صلاة الليل، وفيهم من يسهره كلَّه، ويفرح بقيام الليل وصلاة

(١) وعليه فلا ينبغي أن نقصد في أعمالنا المشقات ونتحرى الاستزادة منها، ظانين أن وراء ذلك الأجرَ العظيم، وأن الثواب على قدر المشقة، فهذا يخالف قصد الشارع، فمن ترك طريقًا مُعَبَّدًا إلى المسجد، وسلك طريقًا آخر فيه عقبات يبتغي بذلك زيادة الأجر؛ فقد أخطأ القصد، ولا ثواب له، وانظر: «الموافقات» (٢/ ٢٢٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٠٧).

الضحى أكثرَ مما يفرح بأداء الفرائض، ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضة، أو يقوم فيتهيأ لها فتفوته الجماعة[١]، أو يصبح كسلانَ فلا يقدر على الكسب لعائلته، ولقد رأيت شيخًا من المتعبدين -يقال له: حسين القزويني- يمشي كثيرًا من النهار في جامع المنصور، فسألت عن سبب مشيه، فقيل لي: لئلا ينام، فقلت: هذا جهل بمقتضى الشرع والعقل؛ أما الشرع فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَقُمْ وَنَمْ»... وأما العقل فإن النوم يجدد القُوى التي قد كلَّت بالسهر، فمتى دفعه الإنسان وقت الحاجة إليه أثَّر في بدنه وعقله، فنعوذ بالله من الجهل.

فإنْ قال قائل: فقد رويْتَ لنا أن جماعة من السلف كانوا يحيون الليل؟

فالجواب: أولئك تدرجوا حتى قدروا على ذلك، وكانوا على ثقة من حفظ صلاة الفجر في الجماعة، وكانوا يستعينون بالقائلة مع قلة المطعم، وصح لهم ذلك، ثم لم يبلغنا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهِر ليلة لم يَنَمْ فيها، فسُنَّته هي المتبوعة»[٢].

---

(١) روى الإمام مالك في «الموطأ» عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حَثْمة أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد سليمان بن أبي حثمة في صلاة الصبح، وأن عمر بن الخطاب غدا إلى السوق، ومسكنُ سليمانَ بين السوق والمسجد النبوي، فمرَّ على الشِّفاء أمِّ سليمان، فقال لها: «لم أرَ سليمان في الصبح»، فقالت: «إنه بات يصلي، فغلبته عيناه»، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لأن أشهد صلاةَ الصبح في الجماعة أحبُّ إليَّ من أن أقوم ليلة».

(٢) «تلبيس إبليس» (ص ١٥٩).

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الاقتصاد في السنة، خير من الاجتهاد في البدعة»(١).

وعن عبد الله بن عَمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: جمعتُ القرآن، فقرأتُه كلَّه في ليلة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْرَأْهُ في شَهْرٍ**»، قلتُ: يا رسول الله، دعني أستمتع من قُوَّتي وشبابي، قال: «**اقْرَأْهُ فِي عِشْرِينَ**»، قلتُ: دعني أستمتع، قال: «**اقْرَأْهُ فِي سَبْعِ لَيَالٍ**»، قلت: دعني يا رسول الله أستمتع، قال: فأبى.

علَّق الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال: «صحَّ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نازله إلى ثلاث ليالٍ، ونهاهُ أن يقرأَهُ في أقلَّ من ثلاثٍ، وهذا كان في الذي نَزَلَ من القرآن، ثم بعدَ هذا القول نزل ما بقي من القرآن. فأقلُّ مراتب النهي أن تُكْرَهَ تلاوةُ القرآن كُلِّه في أقلَّ من ثلاث، فما فقه ولا تَدَبَّر من تلى في أقلَّ من ذلك، ولو تلا ورتَّلَ في أسبوع، ولازم ذلك، لكان عملًا فاضلًا، فالدِّين يُسْرٌ، فوالله إن ترتيلَ سُبُعِ القرآن في تهجد قيام الليل مع المحافظة على النوافل الراتبة، والضحى، وتحية المسجد، مع الأذكار المأثورة الثابتة، والقول عند النوم واليقظة، ودُبُرَ المكتوبة والسَّحَر، مع النَّظَر في العلم النافع والاشتغالِ به مخلصًا لله،

(١) «الزهد» للإمام أحمد (ص ٢٩٣).

مع الأمر بالمعروف، وإرشادِ الجاهلِ وتفهيمِه، وزجرِ الفاسق، ونحوِ ذلك، مع أداء الفرائض في جماعةٍ بخشوع وطمأنينة وانكسارٍ وإيمان، مع أداء الواجب، واجتنابِ الكبائر، وكثرةِ الدعاءِ والاستغفار، والصدقة وصلةِ الرحم؛ والتواضع والإخلاص في جميع ذلك؛ لَشُغلٌ عظيمٌ جسيم، ولَمَقامُ أصحابِ اليمين وأولياءِ الله المتقين، فإنَّ سائر ذلك مطلوب.

فمتى تَشَاغَلَ العابدُ بختمةٍ في كُلِّ يوم، فقد خالف الحنيفيَّةَ السمحةَ، ولم ينهض بأكثر ما ذكرناه، ولا تَدَبَّر ما يتلوه.

هذا السيدُ العابدُ الصاحبُ كان يقول لما شاخَ: ليتني قبلتُ رُخْصَةَ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك قال عَلَيْهِ السَّلَامُ في الصوم، وما زالَ يناقصُه حتى قال له: «**صُمْ يَوْمًا، وَأَفْطِرْ يَوْمًا، صَوْمَ أَخِي دَاوُدَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ».

وكل من لم يَزُمَّ نفْسَه في تعبده وأوراده بالسنة النبوية، يندمُ ويتَرَهَّبُ ويسوء مِزاجُه، ويفوتُه خيرٌ كثير من متابعة سنة نبيه الرؤوفِ الرحيم بالمؤمنين، الحريصِ على نفعهم، وما زال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعلِّمًا للأمة أفضلَ الأعمال، وآمرًا بهجر التَّبَتُّلِ والرهبانية التي لم يُبْعث بها؛ فنهى عن سَرْدِ الصوم، ونهى عن الوِصال، وعن قيام أكثر الليل إلا في العَشْرِ

الأخير، ونهى عن العُزبة للمستطيع، ونهى عن ترك اللحم... إلى غير ذلك من الأوامر والنَّواهي.

فالعابدُ بلا معرفةٍ لكثير من ذلك معذور مأجور، والعابدُ العالم بالآثار المحمدية المتجاوزُ لها مفضولٌ مغرورٌ، وأحبُّ الأعمالِ إلى الله تعالى أدومُها وإن قلَّ. أَلْهَمَنا الله وإياكُم حُسْنَ المتابعة، وجنَّبنا الهوى والمخالفة»[(١)].

وعن يحيى بن أَكْثَمَ، قال: «صَحِبْتُ وكيعًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحَضَرِ والسَّفَرِ، وكان يصومُ الدهرَ، ويختِم القرآنَ كُلَّ ليلة».

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه عبادةٌ يُخضَعُ لها، ولكنها من مثل إمامٍ من الأئمة الأثَرية مفضولة، قد صح نهيُه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن صوم الدهر، وصح أنه نهى أن يُقرأ القرآن في أقلَّ من ثلاث، والدين يُسْرٌ، ومتابعةُ السُّنة أولى، فرضي الله عن وكيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأين مثلُ وكيع؟!»[(٢)].

(١) «تهذيب سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٣٩).
(٢) «نفسه» (٢/ ٨٠٩).

من مظاهر رفق رسول الله ﷺ بأمته

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين ساريتين، فقال: «**مَا هَذَا الحَبْلُ**» قالوا: هذا حبل لزينبَ، فإذا فَتَرَتْ[(١)] تعلَّقَتْ به، فقال النبي ﷺ: «**لا، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ**»[(٢)].

وعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن الحولاء بنتَ تُوَيْتِ بن حبيب بن أسد بن عبد العزَّى مَرَّتْ بها، وعندها رسولُ الله ﷺ، قالت: فقلت: هذه الحولاء بنت تويتٍ، وزعموا أنها لا تنام الليل، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تنام الليلَ؟ خذوا من العمل ما تُطيقون، فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا**[(٣)]»[(٤)].

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ دخل وعندها امرأة، قال: «**مَنْ هَذِهِ؟**» قالت:

---

(١) **فترت**: أي كسِلَتْ عن القيام في الصلاة.
(٢) رواه البخاري (١١٥٠)، وأبو داود (١٣١٢)، والنسائي (٣/ ٢١٨).
(٣) سئم الشيء، وسئم منه سآمةً: مَلَّ.
(٤) رواه مسلم (٧٨٥)، ومالك في «الموطأ» (١/ ١١٨)، والنسائي (٣/ ٢١٨).

فُلانةُ -تذكر من صلاتها- قال: «**مَهْ!**[١] **عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ؛ فَوَاللهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا**»، وكان أحبَّ الدينِ إليه ما داوم عليه صاحبُه[٢].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عليكم بما تطيقون: أي اشتغلوا من الأعمال بما تستطيعون المداومةَ عليه، فمنطوقُه يقتضي الأمر بالاقتصار على ما يُطاق من العبادة، ومفهومُه يقتضي النهيَ عن تكلفِ ما لا يُطاق»[٣] اهـ، وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يتعمق في الأعمال الدينية ويترك الرِّفق، إلا عجز وانقطع فيُغلَب»[٤].

وقال الإمام المحقق ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نهى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن التشديد في الدِّين بالزيادة على المشروع، وأخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ تشديد العبد على نفسه هو السبب لتشديد الله عليه إما بالقَدَرِ وإما بالشرع. فالتشديد بالشرع: كما يُشَدِّد على نفسه بالنذر الثقيل، فيلزمه الوفاء به، وبالقَدَر كفعل أهل الوسواس. فإنهم شددوا على أنفسهم فشدد عليهم القَدَر، حتى استحكم ذلك، وصار صفة لازمة لهم»[٥].

---

(١) **مَهْ**: اسم فعل بمعنى: اكْفُفْ، يقال: مَهْمَهْتُ به أي: زجرته، والمعنى: نهى عائشة عن مدح المرأة بما ذَكَرت، أو المراد النهي عن ذلك الفعل.

(٢) رواه البخاري (٤٣، ١١٥١)، ومسلم (٧٨٥).

(٣) «فتح الباري» (١/ ١٨٧).

(٤) «نفسه» (١/ ١٧٥).

(٥) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» (١/ ١٣٢).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: بَيْنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطبُ إذا هو برجل قائم[١]، فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم، ولا يقعدَ، ولا يستظلَّ[٢]، ولا يتكلم، ويصومَ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ، وَلْيَسْتَظِلَّ، وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ**»[٣].

قال الحافظ: «وفيه أن كل شيء يتأذى به الإنسان ولو مآلًا مما لم يَرِدْ بمشروعيته كتابٌ أو سنة، كالمشي حافيًا، والجلوس في الشمس؛ ليس هو من طاعة الله؛ فلا ينعقد به النذر» اهـ[٤].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى شيخًا يُهَادى بين ابنيه[٥]، فقال: «**مَا بَالُ هَذَا؟**»، قالوا: نذر أن يمشِي، قال: «**إِنَّ اللهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ**»، وأمره أن يركب[٦].

---

(١) زاد أبو داود: «في الشمس».
(٢) في رواية الخطيب: «ويقومَ في الشمس».
(٣) رواه البخاري (٦٧٠٤)، وأبو داود (٣٣٠٠).
(٤) «فتح الباري» (١٥/ ٣٧٢).
(٥) أي يمشي بينهما معتمدًا عليهما من ضعفه.
(٦) رواه البخاري (١٨٦٥، ٦٧٠١)، ومسلم (١٦٤٢) في النذور، باب من نذر أن يمشيَ إلى الكعبة، وأبو داود (٣٣٠١)، والترمذي (١٥٣٧)، والنسائي (٧/ ٣٠).

وعن عُقْبةَ بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: نَذَرَتْ أختي أن تمشيَ إلى بيتِ الله الحرام حافيةً، فأمرَتْني أن أستفتيَ لها رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاستفتيتُه، فقال: «**لِتَمْشِ وَلْتَرْكَبْ**»(١).

وعن أبي جُحَيْفَة، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: آخى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمانُ أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنكِ؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا، فقال له: كُلْ، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكلٍ حتى تأكلَ، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نَمْ، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نَمْ، فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قُمِ الآنَ، فصَلَّيا، فقال له سلمان: إنَّ لربك عليك حقًّا، ولنفْسِك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعطِ كلَّ ذي حَقٍّ حقَّه. فأتى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكر ذلك له، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**صَدَقَ سَلْمَانُ**»(٢).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «جاء ثلاثةُ رَهْطٍ إلى بيوت أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسألون عن عبادته؛ فلما أُخبِروا كأنهم تَقَالُّوها، فقالوا: أين نحن من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقد غفرَ الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل

(١) رواه البخاري (١٨٦٦)، ومسلم (١٦٤٤)، وأبو داود (٣٢٩٩).
(٢) رواه البخاري (١٩٦٨)، والترمذي (٢٤١٣).

أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ، فقال: «**إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(١).

وعن أم المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم، أمرهم من الأعمال بما يطيقون. فقالوا: إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله؛ إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فيغضبُ، حتى يُعْرَفَ الغضبُ في وجهه، ثم يقول: «**إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا**»(٢).

* * *

ولقد ترك رسول الله ﷺ بعض الأعمال الفاضلة؛ لئلا يتكلفها الناسُ فتشقَّ عليهم:

فعن أبي صالح، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي -أَوْ عَلَى النَّاسِ- لَأَحْبَبْتُ أَلَّا أَتَخَلَّفَ خَلْفَ سَرِيَّةٍ تَخْرُجُ فِي**

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).
(٢) رواه البخاري رقم (٢٠).

سَبِيلِ اللهِ، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ، وَلَا يَجِدُونَ مَا يَتَحَمَّلُونَ عَلَيْهِ فَيَخْرُجُونَ، فَوَدِدْتُ أَنْ أُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ»[١].

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: انتظرْنا رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلةً صلاةَ العِشاء، حتى ذهب نحوٌ من شَطْرِ الليل، قال: فجاء فصلى بنا، ثم قال: «**خُذُوا مَقَاعِدَكُمْ**[٢]، **فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا مَضَاجِعَهُمْ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا فِي صَلَاةٍ مُنْذُ انْتَظَرْتُمُوهَا، وَلَوْلَا ضَعْفُ الضَّعِيفِ، وَسَقَمُ السَّقِيمِ، وَحَاجَةُ ذِي الْحَاجَةِ؛ لَأَخَّرْتُ هَذِهِ الصَّلَاةَ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ**»[٣].

ويُروى عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: مَسَّى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصلاة العشاء، حتى صلَّى المصلِّي، واستيقظَ المستيقظ، ونام النائمون، وتهجَّدَ المتهجِّدونَ، ثم خرج، فقال: «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَمَرْتُهُمْ أَنْ يُصَلُّوا هَذَا الْوَقْتَ**»[٤] أو هذه الصلاة، أو نحو ذا.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ**»[٥].

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٠٤٤٢)، وصحَّحه المحققون على شرط الشيخين.
(٢) أي: اقعدوا مكانكم، ولا تتفرقوا؛ لأبشركم بثواب الانتظار.
(٣) رواه الإمام أحمد (١١٠١٥)، وغيره، وقال المحققون: «إسناده صحيح على شرط مسلم».
(٤) رواه الإمام أحمد (٤٨٢٦)، وقال المحققون: «إسناده ضعيف، وأصل الحديث صحيح».
(٥) رواه الإمام أحمد (٩٩٢٨)، وغيره، وقال المحققون: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

وعن محمد بن إبراهيم، عن أبي سَلَمةَ بنِ عبد الرحمن، عن زيد بن خالد الجُهَني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ** -وَقَالَ مُحَمَّدٌ: **لَوْلَا أَنْ يُشَقَّ**- **عَلَى أُمَّتِي لَأَخَّرْتُ صَلَاةَ الْعِشَاءِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَلَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ**»(١).

وامتنع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الخروج للناس ليَؤمَّهم في قيام رمضانَ جماعةً بعد أن فعل ذلك بهم ثلاثَ ليالٍ، وقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، أَمَا وَاللهِ مَا بِتُّ وَالْحَمْدُ لله لَيْلَتِي هَذِهِ غَافِلًا، وَمَا خَفِيَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ، وَلَكِنِّي تَخَوَّفْتُ أَنْ يُفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ**».

وفي رواية: «**وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ صَلَاةُ اللَّيْلِ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا، فَاكْلَفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**»(٢).

ومن رفق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لم يضرب إنسانًا طَوَالَ حياته، ولم يُعَنِّفْ زوجة ولا خادمًا، وما انتقم لنفسه يومًا:

- عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «ما ضرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده

(١) رواه الإمام أحمد (١٧٠٣٢)، وغيره، وصححه المحققون لغيره.
(٢) رواه الإمام أحمد (٢٦٣٠٧)، والطبراني في «الأوسط» (٥٢٧٧)، وأبو داود (١٣٧٤) مختصرًا، وقال محققو «المسند»: «حديث صحيح لغيره» (٤٣/ ٣٣٤).

امرأة قطُّ، ولا خادمًا، ولا ضرب شيئًا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله»[(١)]، «وقد أُمِرَ نبي الله ﷺ أن يأخذ العفوَ من أخلاق الناس»[(٢)].

- وعنها رضي الله عنها قالت: «ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بين أمرين قطُّ، إلا أخذ أيسرَهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه من شيء قطُّ إلا أن تُنتهكَ حرمةُ الله، فينتقم لله تعالى»[(٣)].

وتأمَّلْ هذه المواقف العظيمة التي تجلى فيها رفقُ رسول الله ﷺ وحِلمُه:

- عن عروة أن عائشة رضي الله عنها زوجَ النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أُحُدٍ؟ قال: «**لقد لقيتُ من قومِك ما لقيتُ، وكان أشد ما لقيت منهم يومَ العَقَبة، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد يَالِيلَ بن عبد كُلال، فلم يجبني إلى ما أردتُ، فانطلقت وأنا مهمومٌ على وجهي**[(٤)]، **فلم أستفِقْ**

(١) رواه مسلم (٧٩)، وابن ماجه (١٩٨٤)، والدارمي (٢/ ١٤٧)، والإمام أحمد (٦/ ٣٢).
(٢) رواه البخاري (٤٦٤٣، ٤٦٤٤)، وأبو داود (٤٧٨٧).
(٣) رواه البخاري (٣٥٦٠)، (٦١٢٦)، ومسلم (٢٣٢٧)، وغيرهما.
(٤) **على وجهي**: أي على الجهة المواجهة لي.

إلا وأنا بقَرْنِ الثعالبِ[١]، فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلَّتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قولَ قومِك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك مَلَكَ الجبال[٢] لتأمره بما شئتَ فيهم، فناداني مَلَكُ الجبال فسلَّم عليَّ، ثُمَّ قال: يا محمد، فقال: ذلك[٣] فيما شئتَ[٤]، إن شئتَ أن أُطبِقَ عليهم الأَخْشَبَيْنِ؟[٥] فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **بل أرجو أن يُخرج اللهُ من أصلابهم من يعبد الله وحَده لا يُشركُ به شيئًا»[٦].**

– وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بال أعرابي في المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ -أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ-؛ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[٧].**

---

(١) هو أيضًا قرن المنازل ميقات أهل نجد.

(٢) أي: المُوَكَّل بها.

(٣) **ذلك:** مبتدأ، وخبره محذوف تقديره: كما علمت، أو كما قال جبريل.

(٤) **ما شئت:** استفهام، وجزاؤه مَقَدَّر، أي: أن شئتَ فعلتُ.

(٥) جبلا مكة، أبو قبيس وقعيقعان، سُمِّيا الأخشبين لصلابتهما وغلظ حجارتهما. والمراد بإطباقهما أن يلتقيَا على مَن بمكة، أو أنهما يصيران طبقًا واحدًا.

(٦) رواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٧) رواه البخاري (٢٢١)، ومسلم (٢٨٤)، وغيرهما. والذَّنوب والسَّجْل كلاهما بمعنًى، وهو الدلو المملوءة ماءً.

- وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد ومعه أصحابه، إذ جاء أعرابي، فبال في المسجد، فقال أصحابُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْ مَهْ! فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُزْرِمُوهُ**[١]»، ثم دعاه، فقال: «**إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقَذَرِ وَالْبَوْلِ وَالْخَلَاءِ، وَإِنَّمَا هِيَ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَذِكْرِ اللهِ، وَالصَّلَاةِ**»، ثم دعا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَلْوٍ من ماء، فسَنَّه[٢] عليه[٣].

- وعن معاوية بن الحكم السُّلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بيْنا أنا أصلي مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله! فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثُكْلَ أُمِّيَاهْ! ما شأنكم تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فعرفت أنهم يُصَمِّتونني.

فلما صلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسنَ تعليمًا منه؛ فوالله ما ضربني، ولا كَهَرني[٤] ولا سبَّني، قال: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا**

---

(١) **لا تُزْرِموه:** لا تقطعوا عليه بوله.
(٢) **سَنَّه عليه:** صَبَّه عليه.
(٣) رواه مسلم (٢٨٥).
(٤) **ولا كهرني:** أي: ما انتهرني، يقال: كهره: إذا زبره واستقبله بوجهٍ عبوس.

شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» أو كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)].

- وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن فتًى شابًّا أتى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: «**ادْنُه**»، فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: «**أتحبه لأمك؟**»، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**»، قال: «**أفتحبه لابنتك؟**»، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**»، قال: «**أفتحبه لأختك؟**»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**»، قال: «**أفتحبه لعمتك؟**»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لعماتهم**»، قال: «**أفتحبه لخالتك؟**»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**»، قال: فوضع يده عليه وقال: «**اللهم اغفر ذنبَه، وطَهِّرْ قلبَه، وحَصِّنْ فرجَه**»، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (٥٣٧)، وأبو داود (٩٣٠)، والنسائي (٣/ ١٤، ١٨).

(٢) رواه الإمام أحمد (٢٢٢٦٥)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٢٩٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٣٧٠).

- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنت أمشي مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعليه بُرْدٌ نَجْرانيٌ[١] غليظُ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجذبه جذبة[٢] شديدة، حتى نظرت إلى صَفْحة عاتقِ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أثَّرت به حاشيةُ الرداء؛ مِن شدة جذبته، ثم قال: «مُر لي من مال الله الذي عندك»! فالتفتَ إليه فضحِك، ثم أمر له بعطاء»[٣].

وفي مسلم: «ثم جبذه إليه جبذة رجع نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نَحر الأعرابي»[٤].

- ويُروَى عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن أعرابيًّا جاء إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعينه في شيء -قال عكرمة: أُراه في دَمٍ، فأعطاه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا، ثم قال: «**أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ؟**»، قال الأعرابي: لا، ولا أجملتَ! فغضِب بعضُ المسلمين، وهَمُّوا أن يقوموا إليه، فأشار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم أن كُفُّوا. فلما قام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبلغ إلى منزله، دعا الأعرابيَّ إلى البيت، فقال له: «**إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك، فقلتَ ما قلتَ**»، فزاده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا، فقال: «**أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ؟**» فقال الأعرابي: نعم، فجزاك الله

(١) **برد نجراني:** نوع من الثياب صُنع في نجران.
(٢) **جذبه:** شَدَّه.
(٣) رواه البخاري رقم (٢٩٨٠).
(٤) رواه مسلم رقم (١٠٥٧).

مِن أهلٍ وعشيرٍ خيرًا، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكَ كُنْتَ جِئْتَنَا فَأَعْطَيْنَاكَ، فَقُلْتَ مَا قُلْتَ، وفي نفس أصحابي عليك من ذلك شيء؛ فإذا جئتَ فقُلْ بين أيديهم ما قلتَ بين يديَّ؛ حتى يذهبَ عن صدروهم**». قال: فلما جاء الأعرابي قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ صَاحِبَكُمْ كَانَ جَاءَنَا فَسَأَلَنَا فَأَعْطَيْنَاهُ، فَقَالَ مَا قَالَ، وَإِنَّا قَدْ دَعَوْنَاهُ فَأَعْطَيْنَاهُ، فَزَعَمَ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ، أَكَذَاكَ؟**»، قال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهلٍ وعشير خيرًا. قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ نَاقَةٌ، فَشَرَدَتْ عَلَيْهِ، فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ، فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلَّا نُفُورًا، فَقَالَ لَهُمْ صَاحِبُ النَّاقَةِ: خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ نَاقَتِي؛ فَأَنَا أَرْفَقُ بِهَا، وَأَعْلَمُ بِهَا، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا صَاحِبُ النَّاقَةِ فَأَخَذَ لَهَا مِنْ قَتَامِ[1] الْأَرْضِ، وَدَعَاهَا حَتَّى جَاءَتْ وَاسْتَجَابَتْ، وَشَدَّ عَلَيْهَا رحْلها واسْتَوَى عَلَيْهَا، لَوْ أَنِّي أَطَعْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ مَا قَالَ دَخَلَ النَّارَ**»[2].

-وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ابتاعَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من رجل من الأعراب جَزورًا -أو جَزائرَ- بوَسْقٍ من تمر الذُّخْرة -**وتمرُ الذُّخْرة**: العجوة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- فرجعَ به رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيته، فالتمس له التمرَ فلم يَجِدْه، فخرج إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

(١) **القَتام** -كسَحاب-: الغُبار.

(٢) قال في «مجمع الزوائد»: «رواه البزار، وفيه إبراهيم بن الحكم بن أبان، وهو متروك» اهـ. (٩/ ١٦، ١٧).

فقال له: «**يَا عَبْدَ اللهِ، إِنَّا قَد ابْتَعْنَا مِنْكَ جَزُورًا -أَوْ جَزَائِرَ- بِوَسْقٍ مِنْ تَمْرِ الدُّخْرَةِ، فَالْتَمَسْنَاهُ، فَلَمْ نَجِدْهُ**». قال: فقال الأعرابي: وا غَدْراهُ. قالت: فنَهَمَهُ[1] الناسُ، وقالوا: قاتلك الله! أَيَغْدِرُ رسولُ الله ﷺ؟! قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**دَعُوهُ؛ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالا**». ثم عاد له رسول الله ﷺ، فقال: «**يَا عَبْدَ اللهِ إِنَّا ابْتَعْنَا مِنْكَ جَزَائِرَكَ وَنَحْنُ نَظُنُّ أَنَّ عِنْدَنَا مَا سَمَّيْنَا لَكَ، فَالْتَمَسْنَاهُ، فَلَمْ نَجِدْهُ**». فقال الأعرابي: واغَدْراه، فنهمه الناس، وقالوا: قاتلك الله! أيغدر رسول الله ﷺ؟! فقال رسول الله ﷺ: «**دَعُوهُ؛ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالا**». فردَّدَ ذلك رسولُ الله ﷺ مرتين، أو ثلاثًا، فلما رآه لا يفقه عنه، قال لرجل من أصحابه: «**اذْهَبْ إِلَى خُوَيْلَةَ بِنْتِ حَكِيمِ بْنِ أُمَيَّةَ، فَقُلْ لَهَا: رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَكِ: إِنْ كَانَ عِنْدَكِ وَسْقٌ مِنْ تَمْرِ الدُّخرَةِ، فَأَسْلِفِينَاهُ حَتَّى نُؤَدِّيَهُ إِلَيْكِ إِنْ شَاءَ اللهُ**». فذهب إليها الرجلُ، ثم رجع الرجلُ، فقال: قالت: نعم، هو عندي يا رسول الله، فابعث من يقبضه، فقال رسول الله ﷺ للرجل: «**اذْهَبْ بِهِ، فَأَوْفِهِ الَّذِي لَهُ**». قال: فذهب به، فأوفاه الذي له. قالت: فمر الأعرابي برسول الله ﷺ وهو جالس في أصحابه، فقال: جزاك الله خيرًا؛

(١) **فنهمه الناس**: يقال نَهَمَه: إذا زجره، وصاح به.

فقد أوفَيْتَ وأَطْيَبْتَ. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**أُولَئِكَ خِيَارُ عِبَادِ اللهِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: المُوفُونَ المُطَيَّبُونَ**»(١).

* * *

- وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه، قال: إن الله لما أراد هُدى زَيْدِ بنِ سَعْنَةَ قال زيد ابن سعنة: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرَفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرتُ إليه إلا اثنتين لم أَخْبَرْهُما منه: يسبق حِلْمُه جهلَه، ولا تَزيدُه شدةُ الجهل عليه إلا حِلْمًا، فكنت ألطف له لأن أخالطه؛ فأعرفَ حِلمه من جهله.

قال زيد بن سعنة: فخرج رسول الله ﷺ يومًا من الحجرات ومعه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، فأتاه رجل على راحلته كالبدوي، فقال: يا رسول الله، إن بصرى قرية بني فلان قد أسلموا، ودخلوا في الإسلام، وكنت حدثتُهم إن أسلموا أتاهم الرزقُ رَغَدًا، وقد أصابتهم سَنَةٌ وشدة وقحوط من الغيث، فأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعًا كما دخلوا فيه طمعًا، فإن رأيتَ أن تُرسلَ إليهم بشيء تعينهم به فعلتَ. فنظر إلى رجل إلى جانبهَ أُراه: عليًّا رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، ما بقي منه شيء.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» رقم (٢٦٣١٢)، وقال المحققون: «إسناده حسن» (٤٣/ ٣٣٩).

قال زيد بن سعنة: فدنوتُ إليه، فقلت: يا محمد، هل لك أن تبيعني تمرًا معلومًا من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا ؟ فقال: «**لَا يَا يَهُودِيُّ، وَلَكِنِّي أَبِيعُكَ تَمْرًا مَعْلُومًا إِلَى أَجْلِ كَذَا وَكَذَا، وَلَا تُسَمِّي حَائِطَ بَنِي فُلَانٍ**»، قلت: بلى، فبايَعَني فأطلقتُ هِمْياني[١]، فأعطيته ثمانين مثقالًا من ذهب في تمر معلوم إلى أجلِ كذا وكذا، فأعطاها الرجل، فقال: «**اغْدُ عَلَيْهِمْ فَأَعِنْهُمْ بِهَا**».

فقال زيد بن سعنة: فلما كان قَبْلَ مَحَلِّ الأجلِ بيومين أو ثلاثة، أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه، ونظرتُ إليه بوجهٍ غليظ، فقلت له: ألا تقضيني يا محمدُ حقي؟ فوالله ما علمتُكم بني عبد المطلب لَمُطْلٌ، ولقد كان لي بمخالطتكم علم! ونظرتُ إلى عُمرَ، وإذا عيناه تدوران في وجهه كالفَلك المستدير، ثم رماني ببصره، فقال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أسمع، وتصنع به ما أرى؟! فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فَوْتَه لضربتُ بسيفي رأسَك. ورسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينظر إلى عمر في سكون وتُؤَدَةٍ، ثم قال: «**يَا عُمَرُ، أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا؛ أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ، وتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ**[٢]، **اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ وأَعْطِهِ حَقَّهُ، وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ؛ مَكَانَ مَا رُعْتَهُ**».

---

(١) **الهِمْيان**: التِّكَّة، وكيس النفقة يُشَدُّ في الوسط.
(٢) **التِّباعة**: طلب الدَّيْن.

قال زيد: فذهب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأعطاني حقي، وزادني عشرين صاعًا من تمر، فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر ؟ فقال: أمرني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أزيدك مكان ما رُعْتُكَ، قلت: وتعرفني يا عمر؟ قال: لا، من أنت؟ قلت: أنا زيد بن سعنة، قال: الحَبْر؟ قلت: الحبر، قال: فما دعاك أن فعلتَ برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما فعلتَ، وقلتَ له ما قلتَ؟ قلت: يا عمر، لم تكن من علامات النبوة شيءٌ إلا وقد عرَفتُه في وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين نظرتُ إليه إلا اثنتين لم أختبرهما منه: يسبق حِلمُه جهلَه، ولا يَزيده الجهلُ عليه إلا حِلمًا، فقد اختبرتُهما، فأُشهِدك يا عمر أني قد رَضِيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دِينًا، وبمحمد نبيًّا، وأُشهِدك أن شَطْرَ مالي -وإني أكثرها مالًا- صدقةٌ على أمة محمد. فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوْ على بعضهم؛ فإنك لا تَسَعُهم، قلت: أَوْ على بعضهم. فرجع عمر وزيد إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال زيد: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وآمن به، وصَدَّقه، وبايعه، وشهِد معه مشاهدَ كثيرةً، ثم تُوفِّيَ زيد في غزوة تبوكَ مقبِلًا غيرَ مُدْبِر، رحِم الله زيدًا[1].

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٥١٤٧) (٥/ ٢٢٢)، وقال محققه الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي: «ورواه المصنف في الأحاديث الطوال (٦) وفي مسند عبد الله بن سلام من المعجم، وابن حبان (٢٨٨) والحاكم (٣/ ٦٠٤، ٦٠٥)، وأبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ص٨١)، وقال الحافظ في (الإصابة) (٢/ ٦٠٧): (ورجال الإسناد موثوقون، وقد صرح الوليد فيه بالتحديث، ومداره على محمد بن =

- وعن عباد بن شرحبيل قال: أصابنا عامُ مخمصة[(١)]، فأتيت المدينة، فأتيت حائطًا من حيطانها، فأخذت سنبلًا ففركته[(٢)] فأكلته، وجعلته في كسائي، فجاء صاحب الحائط، فضربني وأخذ ثوبي، فأتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبرته، فقال للرجل: «**ما أطعمتَه إذ كان جائعًا، أو ساغبًا، ولا عَلَّمتَه إذ كان جاهلا**[(٣)]»، فأمره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فردَّ إليه

=أبي السري الراوي له عن الوليد: وثَّقه ابن معين، وليَّنه أبو حاتم، وقال ابن عَدِي: محمد كثير الغلط، والله أعلم). قلت: قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وهو من غرر الحديث، ومحمد ابن أبي السري العسقلاني ثقة)، فتعقبه الذهبي بقوله قلت: ما أنكَرَه وأَرَكَّه! لا سيما قوله: (مقبلًا غير مدبر)؛ فإنه لم يكن في غزوة تبوك قتال.

ورواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٣٢) قال في «المجمع» (٨/ ٢٤٠): روى ابن ماجه (٢٢٨١) منه طرفًا، رواه الطبراني ورجاله ثقات» اهـ.

وقد تابع ابنَ أبي السري عبدُ الوهاب بن نجدة الحوطي -وهو ثقة- عن الوليد بن مسلم، وكذا يعقوبُ ابن حميد بن كاسب عن الوليد بن مسلم، انظر: تحقيق «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» للشيخ شعيب الأرناؤوط رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ٥٤٢، ٥٢٥).

وقال الحافظ المِزِّي في «التهذيب»: «هذا حديث حسن مشهور في (دلائل النبوة)» (٧/ ٢٤٣-٢٤٧).

(١) **مخمصة**: جوع وقحط.

(٢) **فركته**: أخرجت ما فيه من الحبوب.

(٣) أي إنه كان جاهلًا جائعًا، فاللائق بك تعليمه أولًا، بأن لك ما سقط، وإطعامه بالمسامحة عما أخذ ثانيًا، وأنت ما فعلتَ شيئًا من ذلك.

ثوبه، وأمر له بوَسْقٍ[١] من طعام، أو نصف وسق[٢].

(١) **الوَسْقُ**: مِكْيَلَة معلومة، وهي ستون صاعًا، والصاع: خمسة أرطال وثلث.
(٢) رواه ابن ماجه (٢٢٩٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٢٢٩).

من مواقف السلف في الرفق والحِلْم

- كان أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يذهب إلى العوالي كلَّ يوم سبت، فإذا وجد عبدًا في عمل لا يُطيقه؛ وضع عنه[(١)].

- وعن زيد بن وهب قال: خرج عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويداه في أذنيه وهو يقول: يا لبيكاه يا لبيكاه، قال الناس: ما له؟ قال: جاءه بريد من بعض أمرائه أن نهرًا حال بينهم وبين العبور ولم يجدوا سُفُنًا، فقال أميرهم: اطلبوا لنا رجلًا يعلم غَوْرَ الماء. فأُتِيَ بشيخٍ، فقال: إني أخاف البردَ، وذاك في البرد، فأكرهَهَ فأدخله، فلم يلبثه البرد، فجعل ينادي: يا عمراه يا عمراه! فغرق، فكتب إليه، فأقبل فمكث أيامًا مُعرِضًا عنه، وكان إذا وجد على أحد منهم فعل به ذلك، ثم قال: ما فعل الرجل الذي قتلته؟ قال: يا أمير المؤمنين، ما تعمدتُ قتلَه، لم نجد شيئًا يعبر فيه، وأردنا أن نعلم غَوْرَ الماء، ففتحنا كذا وكذا، وأصبنا كذا وكذا، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَرجل مسلم أحبُّ إليَّ من كلِّ شيءٍ جئتَ به، لولا أن تكون سُنَّةً لضربتُ عنقَك، اذهب فأعطِ أهله دِيَتَهُ، واخرجْ فلا أراك»[(٢)].

(١) رواه الإمام مالك (٢/ ٩٨٠) (٤١).
(٢) رواه البيهقي في «الكبرى» (٨/ ٥٥٩) (١٧٥٥٥).

- وعن أبي المتوكل: أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت له زنجية قد غَمَّتْهم بعملها، فرفع عليها السوط يومًا، فقال: «لولا القصاصُ لأغشيك[١] به؛ ولكني سأبيعكِ ممن يوفيني ثمنكِ، اذهبي؛ فأنتِ لله»[٢].

- وعن جويرية بن أسماء قال: قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر: ما يمنعك أن تنفذ لرأيك في هذا الأمر؟ فوالله، ما كنتُ أبالي أن تغليَ بي وبك القدورُ في إنفاذ الأمر. فقال عمر: «إني أروض الناسَ رياضةَ الصَّعْب[٣]، فإن أبقاني الله مضيتُ لرأيي، وإن عجلت عليَّ مَنِيَّةٌ فقد علم الله نيتي؛ إني أخاف إن بادهتُ الناسَ بالتي تقول أن يُلْجِؤوني إلى السيف، ولا خير في خير لا يجيء إلا بالسيف»[٤].

- وروي أن غلامًا لزين العابدين كان يصبُّ له الماء بإبريق مصنوع من خزف، فوقع الإبريق على رِجْل زين العابدين، فانكسر، وجُرحت رِجلُه؛ فقال الغلامُ على الفور: يا سيدي يقول الله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران:١٣٤]، فقال زين

(١) كذا بالأصل، ولعلها: لَغَشَيْتُكِ، يُقال: غَشِيَ فلانًا بالسَّوْط: ضربه به ضربًا شديدًا.
(٢) «حلية الأولياء» (١/ ٣٨٤).
(٣) يقال: راض المُهْرَ: ذلَّله، وجعله مُسَخَّرًا مطيعًا، ويقال: راض الشاعرُ القوافيَ الصعبةَ، والصَّعْب: الأَبِيُّ خلاف السَّهْل، نقيض الذَّلُول.
(٤) «نفسه» (٥/ ٢٨١).

العابدين: «لقد كظمتُ غيظي»؛ ويقول: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ فقال: «لقد عفوتُ عنك»؛ ويقول: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فقال زين العابدين: «أنت حرٌّ لوجه الله».

- وقال عبد الله بن طاهر: كنتُ عند المأمون يومًا، فنادى الخادمَ: يا غلام! فلم يُجبه أحد؛ ثم نادى ثانيًا، وصاح: يا غلام! فدخل غلام تركي؛ وهو يقول: أما ينبغي للغلام أن يأكل ويشرب؟ كلما خرجنا من عندك تصيح: يا غلام! يا غلام! إلى كم يا غلام! فنكَّس المأمونُ رأسَه طويلًا، فما شككتُ في أن يأمرني بضرب عنقه، ثم نظر إليَّ فقال: «يا عبد الله، إن الرجل إذا حسَّن أخلاقَه ساءت أخلاقُ خَدَمِه؛ وإنا لا نستطيع أن نُسِيءَ أخلاقَنا لنحسِّنَ أخلاقَ خدمِنا».

ولِـــنْ في الـــكـــلام لـــكـــل الأنـــام فمُسْتَحْسَنٌ مِن ذوي الجاهِ لِين

- وعن حسين الجُعْفي، قال: كنت عند عبد الملك بن أَبْجَرَ، وقد أَبَق[(١)] غلام له، وكان له بابان، فلم يعلم حتى جاء الغلام، فقال له عبد الملك: «فلانُ، ويحك، أَبَقْتَ ؟ لم تُقْبَلْ لك صلاة، من أي باب خرجت؟ أأحد خيرٌ لك منا ؟ ما أحسبك تجد أحدًا خيرًا لك منا، من أي باب خرجت حين ذهبت؟» قال: من هذا الباب، قال: «ادخل منه، واستغفِر الله لك. يا فلانة، أطعميه؛ فإنه أحسبه جائعًا»[(٢)].

(١) أبق الرجل: هرب، وتباعد، والآبق: الرقيق الهارب الذي يفر ممن هو في يده تمردًا.
(٢) «حلية الأولياء» (٥/ ٨٥).

- وعن ميمون بن مِهْرانَ، قال: «لا تُعَذِّبْ المملوكَ، ولا تَضْرِب المملوكَ في كل ذنب؛ ولكن احفظ ذاك له، فإذا عصى الله عَزَّوَجَلَّ فعاقِبْه على معصية الله تعالى، وذكِّره الذنوب التي أذنب بينك وبينه».

يقول الدكتور عدنان باحارث حَفِظَهُ اللهُ:

والعجيب في مسلك الرفق أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يخصَّ به مواقفَ دون أخرى، وظروفًا دون غيرها، وإنما جعله سلوكًا دائمًا وعامًّا، لا ينفك عنه المسلم في كلِّ شؤون حياته، حتى في الظروف الاجتماعية التي يظنُّ الظَّانُّ أنها تستلزم شيئًا من العنف، كحال بعض اليهود حين دخلوا على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقالوا: «السام عليكم، قالت عائشة: ففهِمتُها، فقلت: وعليكم السَّام واللعنة، قالت: فقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**»، فقلت: يا رسول الله، أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**»(١).

ولما أهدى لها رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعيرًا لم يَنَلْ حظَّه من الترويض والتدريب: أخذت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا تشتدُّ عليه، فقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ**»(٢).

(١) رواه البخاري (٥٦٧٨)، وانظر: (ص١٨، ١٩).

(٢) الحديث رواه أبو داود (٢٤٧٨) عن المِقدام بن شريح، عن أبيه قال: سألتُ عائشة عن البَداوة =

فإذا كان الأمر بالرفق مستساغًا مع حيوان ضخم وقوي كالبعير، ومطلوبًا من فتاة صغيرة كعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ فإن صغير البشر أولى بالرفق وأحق به، وقبيح جدًّا أن يغفل المربون عن الرفق بالصغار، والتلطُّفِ بهم في الوقت الذي توجِّه فيه السُّنة بجمع من الأحاديث النبوية إلى الرفق بالحيوان ورحمته.

ويضع الإمام السخاوي رسالة كاملة في النهي عن ضرب الدواب، ووجوب التلطُّف بها[(١)].

ومن أعجب ما جاء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التلطُّف بالدواب: ما رواه سَوَادة بن الربيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أتيتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فسألتُه، فأمر لي بِذَوْدٍ[(٢)]، ثم قال

=-أي الخروج إلى البدو والمقام به-، فقالت: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبدو إلى هذه التِّلاع -وهي مجاري الماء من أعلى الأرض إلى بطون الأودية-، وإنه أراد البداوة مرة، فأرسل إليَّ ناقة مُحَرَّمة -لم تُركَبْ، ولم تُذلَّلْ- من إبل الصدقة، فقال لي: «**يا عائشة، ارفُقي؛ فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانَهُ، ولا نُزع من شيء قط إلا شانه**»، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٥٢٤).

وفي رواية: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيَرْضَاهُ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ مَا لَا يُعِينُ عَلَى الْعُنْفِ**»، وصححه في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٨).

(١) وهي: «جزء تحرير الجواب عن مسألة ضرب الدواب» ط. دار ابن حزم (١٤١٥ هـ، ١٩٩٤م).

(٢) **بذَوْدٍ**، أي: بنُوق؛ جمع ناقة، وهي الإناث من الإبل.

لي: «إِذَا رَجَعْتَ إِلَى بَيْتِكَ؛ فَمُرْهُمْ فَلْيُحْسِنُوا غِذَاءَ رِبَاعِهِمْ[(١)]، وَمُرْهُمْ فَلْيُقَلِّمُوا أَظْفَارَهُمْ؛ لَا يَعْبِطُوا[(٢)] بِهَا ضُرُوعَ مَوَاشِيهِمْ إِذَا حَلَبُوا»[(٣)].

فرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوجِّه إلى رعاية صغار الإبل، فلا تُحرم من حليب أمهاتها، ويأمر بتقليم الأظفار حتى لا تخدش ضروع المواشي عند حلبها فَتُشَقَّ وتُجرح، ولا شك أن الإنسان المكرم أولى بهذا الرفق، وأحرى بهذه المعاملة اللطيفة، ولا سيما الأطفال الصغار»[(٤)].

(١) **الرِّباع** -بكسر الراء-: جمع رَبْع، وهو ما وُلد من الإبل في الربيع، وقيل: ما وُلد في أول النتاج، وإحسان غذائها: أي لا يُستقصى حلبُ أمهاتها؛ إبقاءً عليها.

(٢) **لا يَعبطوا**: من عَبَط الضَّرع -كضرب- إذا أدماه.

(٣) رواه الإمام أحمد (١٥٩٦١)، وقال المحققون: «إسناده حسن» (٢٥/ ٣٢٣).

(٤) «عقوبة التلاميذ البدنية» (ص٨٨، ٨٩)، وانظر للمؤلف: «فقه الإحسان إلى الحيوان» طبعة دار الأمل - ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.

صور من رفق السلف بطلبة العلم

تأثَّر المسلمون الأوائل بوصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرفق مع الناس، لا سيما طلاب العلم:

- فعن أبي وائل شقيق بن سلمة، قال: كان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُذكِّرنا في كل خميس مرة، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لودِدْتُ أنك ذكَّرتنا كلَّ يوم. فقال: «أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُمِلَّكم، وإني أتخولكم بالموعظة؛ كما كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتخولنا -أي: يتعهدنا- بها؛ مخافةَ السآمةِ علينا»(١).

- وكان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «إذا رأى الشباب يطلبون العلم قال: مرحبًا بكم، ينابيع الحكمة، ومصابيح الظلمة...»(٢).

- وكذلك كان أبو سعيد الخُدْري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع طلابه إذا حضروا، فيقول مبتهجًا

(١) رواه البخاري (٦٨)، (٦٤١١).
(٢) «شعب الإيمان» للبيهقي (٢/ ٢٧١).

بهم: «مرحبًا بوصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أوصانا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نوسِّع لكم في المجلس، وأن نفهمَكم الحديث؛ فإنكم خلُوفُنا، وأهل الحديث بعدنا...»[(١)].

- ويقول عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا معبرًا عن عظيم لطفه بطلابه: «أكرم الناس عليَّ جليسي، الذي يتخطى رقاب الناس إليَّ، لو استطعتُ ألا يقع الذبابُ عليه لفعلتُ»[(٢)].

- وعن يحيى بن صالح العبدي، قال: أتيت الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ وأنا غلام، فقعدت بعيدًا من الحلْقة، فقال لي: يا بني، ادْنُ، ما لك قعدتَ بعيدًا؟ قال: قلت: يا أبا سعيد، إني حَسُنْتُ الحَصْرَ[(٣)]، قال: لا تفعل، إذا جئتَ فاجلس إلى جنبي، قال: كنت آتيه فيقعدني إلى جنبه، ويمسح رأسي، ويملي عليَّ الحديث[(٤)].

- وقال الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأحداثُ يُرفَق بهم»[(٥)].

---

(١) نفسه (٢/ ٢٧٥).

(٢) «تذكرة السامع والمتكلم» (ص٤٩).

(٣) كذا! ولم أهتدِ إلى معناها، وأظنها: «إني خَشِيتُ الحَصَرَ» يُقال: حَصِر القارئ والخطيب: عَيَّ في منطقه، ولم يقدر على الكلام، وهكذا التلميذ الخجول يتأخر عن الصفوف الأولى تَحَرُّجًا وتهيبًا من سؤال المعلِّم إياه، ووَلَدٌ حَصِير: عاجز في نطقه، غير متمكن من الكلام.
والحَصَرُ: ضيق وحُبْسَة تصيب المتكلم في منطقه فينعقد لسانه.

(٤) «موسوعة ابن أبي الدنيا» (٨/ ١٣٣).

(٥) «مسائل الإمام أحمد» لابنه عبد الله(ص٤٤٨).

- وقال الإمام الآجُرِّيُّ (ت: ٣٦٠هـ): «وينبغي لمن قرأ عليه القرآن فأخطأ فيه، أو غلط لا يعنفه، وأن يرفق به، ولا يجفو عليه، فإني لا آمن أن يجفوَ عليه فينفر عنه، وبالحريِّ ألا يعود إلى المسجد»[(١)].

- وقال الإمام ابن جَمَاعة (ت: ٧٣٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكذلك ينبغي أن يرحِّب بالطلبة إذا لَقِيهَم، وعند إقبالهم عليه، ويكرمَهُم إذا جلسوا إليه... وليعاملهم بطلاقة الوجه، وظهور البِشْرِ، وحُسن المودة، وإعلان المحبة، وإظهار الشفقة...»[(٢)].

- وقال الإمام ابن خَلْدونَ (ت: ٨٠٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مقدمته»: «إن الشدة على المتعلمين مُضِرَّةٌ بهم، وذلك أن إرهاف الحد بالتعليم مُضِرٌّ بالمتعلم سيما في أصاغر الوُلْدِ؛ لأنه من سوء المَلَكة، ومن كان مَرْباه بالعسف والقهر من المتعلمين... سطا به القهر، وضَيَّقَ عن النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحَمَلَ على الكذب والخُبْثِ، وهو التظاهر بغير ما في ضميره؛ خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر

(١) «أخلاق حملة القرآن» (ص٦٠).
(٢) «تذكرة السامع والمتكلم» (ص٦٥).

عليه، وعلَّمه المكرَ والخديعةَ لذلك، وصارت له هذه عادةً وخُلقًا، وفَسَدت معاني الإنسانية التي له»[(١)].

وهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذا الباب، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

(١) «المقدمة» (ص٦٩١) ط. دار الفضيلة – القاهرة.

الفهـــارس

أولًا: فهرس الأحاديث

الحديث	الراوي	رقم الصفحة
الألف والهمزة		
ابغوني الضعفاء فإنما	أبو الدرداء	٢٥
أتحبه لأمك؟	أبو أمامة	٤٧
أجركِ على قدر نصبكِ	عائشة	٣١
أحسنت إليك؟	أبو هريرة	٤٨
إذا رجعت إلى بيتك فمرهم	سوادة بن الربيع	٦١
ارفق يا أنجشة ويحك	أنس بن مالك	٢٤
اقرأه في شهر	عبد الله بن عمرو	٣٤

ألحقني بالرفيق الأعلى		١٠
الله الطبيب بل أنت	أبو رِمْثة	١٠
اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه	أبو أمامة	٤٧
الله من ولي من أمر أمتي	عائشة	٢١
إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا	عائشة	٤١
إن الدين يسر ولن يشاد	أبو هريرة	٢٦
إن الرفق لا يكون في شيء إلا	أبو هريرة	١٨
إن شر الرعاء الحطمة		٢٣
إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالغلبة	محجن بن الأدرع	٢٧
إن الله عن تعذيب هذا نفسه	أنس بن مالك	٣٩
إن الله يحب الرفق ويرضاه	عائشة	٦٠
إن الله يحب الرفق في	عائشة	١٨
إن لله آنية من أهل	أبو عنبة الخولاني	٢٠
إن لله تعالى أقوامًا يختصهم	ابن عمر	٢٢

إن لنفسك عليك حقًّا	عبد الله بن عمرو	٣٣
إن مثلي ومثل هذا الأعرابي	أبو هريرة	٤٩
إن هذا الدين متين	أنس بن مالك	٢٦
إن هذه الصلاة لا يصلح فيها	معاوية بن الحكم	٤٦
إن هذه المساجد لا تصلح	أنس بن مالك	٤٦
إنه من أعطي حظه من	عائشة	٢٠
إني أحرج عليكم حق الضعيفين	أبو هريرة	٢٤
إني لأخشاكم لله وأتقاكم له	أنس بن مالك	٤١
أولئك خيار عباد الله	عائشة	٥١
أو لم تسمعي ما قلت؟	عائشة	١٩
ألا أخبركم بمن يحرم على النار	ابن مسعود	٢٠
يا أيها الناس أما والله ما بت	عائشة	٤٣
الباء		
بل أرجو أن يخرج الله من	عائشة	٤٥

الخاء		
خذوا مقاعدكم فإن الناس	أبو سعيد	٤٢
الدال		
دعوه فإن الصاحب الحق	عائشة	٥٠
دعوه وأريقوا على بوله سجلا	أبو هريرة	٤٥
السين		
سددوا وقاربوا واغدوا	أبو هريرة	٢٨
الصاد		
صدق سلمان	أبو جحيفة وهب بن عبد الله	٤٠
صم يومًا وأفطر يومًا	عبد الله بن عمرو	٣٥
العين		
عليك بالرفق	عائشة	٥٩
الكاف		
كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتي ضعفاء	سهل بن حنيف	٢٥

كلمتان خفيفتان على اللسان	أبو هريرة	٣١
اللام		
لتمش ولتركب	عقبة بن عامر	٤٠
لقد لقيت من قومك ما لقيت	عائشة	٤٤
لكني أصوم وأفطر وأتزوج	أنس بن مالك	٣٢
للمملوك طعامه وكسوته	أبو هريرة	٢٥
لولا أن أشق على أمتي أمرتهم	ابن عمر	٤٢
لولا أن أشق على أمتي لأحببت	أبو هريرة	٤١
لولا أن أشق على أمتي لأخرت	زيد بن خالد الجهني	٤٣
لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك	أبو هريرة	٤٢
لولا القصاص لأغشيك به	أبو هريرة	٥٧
الميم		
ما أطعمته إذ كان جائعًا	عباد بن شرحبيل	٥٤
ما أعطي أهل بيت الرفق إلا	عبيد الله بن معمر	١٩

المؤمنون هينون لينون	ابن عمر	٢٠
ما من رجل يلي أمر عشرة	أبو أمامة الباهلي	٢١
مره فليتكلم وليستظل	ابن عباس	٣٩
من أعطي حظه من الرفق	أبو الدرداء	١٩
من يحرم الرفق يحرم الخير	جرير	١٩
مه عليكم بما تطيقون	عائشة	٣٨
مهلًا يا عائشة عليك	عائشة	١٩، ٥٩
الهاء		
هلك المتنطعون	ابن مسعود	٢٨، ٣٠
الهين اللين السهل القريب	أنس بن مالك	٢٠
لا		
لا تزرموه	أنس بن مالك	٤٦
لا تشددوا على أنفسكم فيشدد	أنس بن مالك	٢٨
لا تنام الليل؟ خذوا من العمل	عائشة	٣٧

لا، حُلوه، ليصلِّ أحدكم	أنس بن مالك	٣٧
لا يدخل الجنة سيئ الملكة	أبو بكر	٢٣
الياء		
يا أنجشة رويدك سوقًا	أنس بن مالك	٢٤
يا أيها الناس إن منكم منفرين	أبو مسعود البدري	٢٩
يا عائشة ارفقي فإن الرفق	عائشة	٦٠
يا عائشة ارفقي فإن الله	عائشة	١٩
يا عائشة إن الله رفيق	عائشة	١٨
يا عبد الله إنا قد ابتعنا منك جزورًا	عائشة	٥٠
يا عمر، أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا	عبد الله بن سلام	٥٢

ثانيًا: فهرس الآثار

الأثر	القائل	رقم الصفحة
الألف والهمزة		
أحب الأمور إلى الله ثلاثة	عمر بن عبد العزيز	٢٢
الأحداث يرفق بهم	الإمام أحمد	٦٣
ادخل منه، واستغفر الله لك	عبد الملك بن أبجر	٥٨
أذهب البأس رب الناس	عائشة	١٠
الاقتصاد في السنة خير	ابن مسعود	٣٤
أكرم الناس عليَّ جليسي	ابن عباس	٦٣
أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُمِلَّكم	ابن مسعود	٦٢
أمر نبي لله أن يأخذ العفو	عبد الله بن الزبير	٤٤
أنت حر لوجه الله	زين العابدين	٥٧

إني أروض الناس رياض الصعب	عمر بن عبد العزيز	٥٧
التاء		
تدرون ما الرفق؟	سفيان الثوري	١٦
الجيم		
الجبل يمكن أن ينحت منه	بعض السلف	٢٠
الراء		
الرفق ثني الحلم	وهب بن منبه	١٦
الرفق رأس الحكمة	عروة بن الزبير	١٦
الصاد		
صحبت وكيعًا في الحضر والسفر	يحيى بن أكثم	٣٦
الفاء		
فأنا أقول لا تثريب عليكم	الحكم بن أيوب	١٤

فصرت في الدين أصلب	عمر	٢٠
الكاف		
كان أمير المؤمنين عمر يذهب إلى العوالي	الإمام مالك	٥٦
كنت أمشي مع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعليه برد	أنس بن مالك	٤٨
اللام		
لأن أشهد صلاة الصبح في الجماعة	عمر	٣٣
لرجل مسلم أحب إليَّ من كل شيء	عمر	٥٦
ليتني قبلت رخصة رسول الله	عبد الله بن عمرو	٣٥
الميم		
ما خير رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بين أمرين	عائشة	٤٤
ما ضرب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بيده	عائشة	٤٣
ما ندب الله العباد إلى شيء	مخلد بن الحسين	٢٩

مرحبًا بكم ينابيع الحكمة	ابن مسعود	٦٢
مرحبًا بوصية رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ	أبو سعيد الخدري	٦٣
الواو		
وضع دين الله دون الغلو	الحسن البصري	٢٩
لا		
لا تعذب المملوك ولا تضرب المملوك	ميمون بن مهران	٥٩
الياء		
يا بني ادنُ مالك قعدت بعيدًا	الحسن	٦٣
يا بنية إنما طلبت الرفق لنفسي	مسروق	٢٢
يا عبد الله إن الرجل إذا حَسَّنَ أخلاقه	المأمون	٥٨
يا غلام الدواة والقرطاس	المتوكل	٦

ثالثًا: فهرس الموضوعات

المقدمة..... ٥
الرفق بالأطفال هو الأصل في التربية..... ٥
اللجوء إلى العقاب لا سيما البدني استثناء له شروط صارمة..... ٥
التربية المبنية على الرفق أنجع من التربية القائمة على العنف..... ٥
العقاب التربوي استثناء يؤيد أن الرفق هو الأصل..... ٨
العقاب ليس من أصول التربية وقواعدها..... ٨
الرفق لغة واصطلاحًا..... ١٠
أمر الله خليله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرفق بالمؤمنين..... ١١
رفق الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بأممهم..... ١٢
لماذا كثر ثناء الشرع الشريف على الرفق دون العنف؟..... ١٦
الحث على الرفق في السنة الشريفة..... ١٨
الرفق في التعبد، والحث على ترك التشدد..... ٢٦
الإمام ابن القيم يبين كيف يزين الشيطان للإنسان غلوه في التعبد..... ٢٩

شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «قول بعض الناس: الثواب على قدر المشقة، ليس بمستقيم على الإطلاق»..... ٣٠
الإمام ابن الجوزي يكشف تلبيس إبليس على الغالين في العبادة..... ٣٢
الإمام الذهبي يلخص طريق الوصول إلى حال أصحاب اليمين..... ٣٤
من حاد عن هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يندم، ويترهب، ويسوء مِزاجُه..... ٣٥
من مظاهر رفق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمته..... ٣٧
ترك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض الأعـمال الفاضلة؛ لئلا يتكلفها الناس فتشق عليهم..... ٤١
من رفق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لم يضرب إنسانًا طول حياته الشريفة، ولم يعنف زوجة ولا خادمًا..... ٤٣
مواقف تجلى فيها رفق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحِلْمُه..... ٤٤
من مواقف السلف في الرفق والحلم..... ٥٦
كان الرفق سلوكًا عامًّا دائمًا في هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يخص به موقفًا دون موقف، ولا ظرفًا دون غيره..... ٥٩
من مظاهر الرفق بالحيوان في هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... ٥٩

صور من رفق السلف بطلبة العلم..... ٦٢
أضرار شدة المعلم على المتعلمين..... ٦٤
فهرس الأحاديث..... ٦٧
فهرس الآثار..... ٧٤
فهرس الموضوعات..... ٧٨